مادة (الظن) في القرآن الكريم

دراسة سياقية

د. سحر فتحي حجازي

أستاذ مساعد البلاغة والنقد

كلية الآداب - جامعة حلوان

جمهورية مصر العربية

الاستلام	٢٠١٩/١٠/٢٥	المراجعة	٢٠١٩/١١/٢٧	النشر	٢٠١٩/١٢/٣١

الملخص:

ينطلق البحث من اعتبار السياق منتج الدلالة؛ حيث ترتبط الدلالة بالسياق بأنواعه، يتوقف لدى مادة (الظن) في القرآن الكريم، إذ يرصد العلماء والمفسرون لتلك المادة – من خلال النص القرآني- دلالات عدة تصل إلى حد التقابل؛ حيث يغدو الظن يقينًا، ذلك أن الظن في معناه المعجمي يعني: الشك واليقين والعلم والكذب، وقيل: ظن يعني حسب، والظن بمعنى التهمة، وظن رجح، واعتقد...

ومن خلال استعراض تلك الدلالات، ثمة سؤال يطرح نفسه وهو: لماذا تنكب النص القرآني استعمال المادة اللغوية المنتجة للدلالة في كل موضع بصورة مباشرة، فإذا أريدت مادة الشك جيء بها، وإذا أريد استعمال مادة اليقين جيء بها، وكذلك مادتا العلم والكذب وغير ذلك، وذلك حتى يصل المعنى في يسر وجلاء إلى قارئ النص.

لا شك أن إجابة هذا السؤال تكمن في السياق، ومن هنا تبرز خطورة الدراسة السياقية لتلك المادة في النص القرآني؛ استجلاء لبلاغة هذا النص؛ حيث تغدو اللفظة القرآنية في موضعها وما تحمل به من دلالات تأكيدا لدور الدلالة في بلاغة النص القرآني، وبرهانًا لرفعته وتحديه.

يقوم البحث بتحري مناسبة وضع مادة (الظن) في مواضعها من النص القرآني من خلال مراجعة كتب اللغة، وكتب علوم القرآن، وكتب التفسير المختلفة التي عنيت بدراسة المفردات بوصفها خطوة أولى نحو التفسير، إضافة إلى عدد من الدراسات الحديثة في بابي السياق والدلالة.

الكلمات المفتاحية:

السياق، مادة الظن، الدلالة.

The Article (Think) in The Holy Quran

Contextual study

Dr. Sahar Hegazy

Associate Professor of Rhetoric and Criticism

Faculty of Arts – Helwan University

Egypt

Received	25/10/2019	Revised	27/11/2019	Published	31/12/2019

Abstract:

The study starts from considering the context of the product of significance, where the significance of the context is related to the types, depends on the article (think), in the Quran text, where scientists and interpreters of that article, through the Koranic text, many connotations, up to the use of synonymous meanings, where conjecture becomes Certainly, because thinking in its verbal meaning means: doubt, certainty, supposition and lying.

It was also said in its meaning: that the word (belief) means according to, and the conjecture in the sense of the charge, and thought in the sense of preponderance and belief.

In reviewing these semantics, there is a question that arises: why the Quran text avoided the use of the linguistic subject produced by the semantics directly at each mention, if you want the meaning of doubt the word (think) was used, and if intended to use the meaning of certainty the word (think) was used, as well as certainty and lying and other Linguistic intents, with the objective of producing the intended meaning at ease and convenience to the text reader.

There is no doubt that the answer to this question lies in the context, and hence the seriousness of the contextual study of this article in the Koranic text, to clarify the eloquence of this text, where the Quran word becomes in place and its connotations to confirm the role of significance in the eloquence of the Koranic text, and proof of its elevation and challenge.

The research investigates the occasion to use the word (think) in its positions in the text of the Koran through a review of language books, books of Quran science and various books of interpretation, which focused on the study of vocabulary as a first step towards interpretation, in addition to a number of recent studies in the context of circumstance and significance.

Keywords:

Context, the article (think), significance.

واقتضت طبيعة البحث أن يستهل بمهاد تأسيسي يتوقف فيه لدى محطتين، هما:

(١) السياق والدلالة.

(٢) مادة (الظن) في القرآن الكريم.

ثم تنعقد الدراسة التطبيقية في أقسام وفق دلالات مادة الظن.

(١) السياق والدلالة:

ما بين السياق الذي ترد فيه اللفظة ودلالة تلك اللفظة، علاقة تأثير وتأثر، ووفق ذلك فلا يمكن استبعاد السياق من الدراسة الدلالية، فالسياق هو الذي يستدعي ألفاظًا بعينها، ويستبعد غيرها.

ولذا فالسياق هو الحل الأمثل لكثير من إشكاليات الدلالة؛ "فهو القرينة الفنية الكاشفة للوجه المراد من المفردة؛ إذ يقوم بعملية ترشيح دلالي للاكتناز المعنوي الموجود في المفردة الواحدة"(١).

السياق إذن هو الحل لكثير من معضلات الدلالة التي يفرضها المعنى المعجمي للكلمة، الذي يتسم بتعدده واحتماله لأكثر من معنى واحد.

ويندرج الحديث عن السياق القرآني عبر البنية الدلالية لهذا النص؛ حيث لا يمكن أن يتم تحليل نصي كامل إلا أن يجوز المستوى الدلالي تزامنًا مع مستويي التركيب والتداول.

تتحرى الدراسة دور السياق في استخلاص دلالة لفظة "الظن" في المدونة القرآنية، في محاولة لاستجلاء بلاغة النص، ومرد البلاغة الكلامية في مطابقة اللفظ للمعنى.

إن اختيار اللفظ وإحلاله في الموقع المناسب من السياق هو أساس البلاغة، والإحسان في البيان، فإن إحدى اللفظتين قد تنفرد في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها غير منازعة في أوطانها، وتجد أخرى لو وضعت في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"(٢).

ومن هنا نتبين أن ثمة ما يمنع أن تحل كلمة محل أخرى في سياق معين، فتؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية والعاطفية أداء كاملًا.

يقوم البحث بدراسة مادة (الظن) من خلال دراسة نصية شاملة، انطلاقًا من كون السياق نصًا، ذلك أنه يمكن ادعاء أن السياق إنما هو النص، والسياق يُعرف بأنه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله، أو هو ما يسبق أو يلحق ذلك العنصر، أو هو رد أول الكلام على آخره، وآخره على أوله"(٣).

السياق إذن لا يقف عند حد معين يمكن تحديده فيه، كما يمكننا القول بأن: سياق الشيء يحدد بالشيء نفسه، وبهذا المفهوم لا يتحدد السياق في إطار بعينه، فسياق النمط اللغوي أو النص يعد نمطًا لغويًا داخلًا في سياق أكبر، والنص نفسه يعد سياقًا للوحدات الأصغر (الجمل والتراكيب) التي وردت فيه، والجملة سياق للكلمة المفردة التي وردت فيها؛ إذ تتحدد بهذه الجملة دلالة الكلمة المفردة، والكلمة المفردة سياق الحروف والأصوات"(٤).

بهذه النظرة الشمولية للسياق، يمكن قراءة مادة (الظن) في النص القرآني، هذه المادة التي نالها الكثير من القلق والاضطراب عند تحليل العلماء لها، واستخلاص دلالاتها في السياق القرآني؛ حتى بلغ الأمر – في أحيان كثيرة – احتمال اللفظ في السياق الواحد لتأويلات عدة؛ فالطبرسي يقلب دلالة مادة الظن في قوله –تعالى-: "الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّه" (البقرة:٢٤٩) بين ثلاثة أوجه، أحدها أنه بمعنى يتيقنون، و الثاني أنه بمعنى يحدثون نفوسهم، والثالث أنه بمعنى يظنون أنهم ملاقو الله بالقتل"(5)، إضافة إلى تفسيرهم الظن – كثيرًا - على أنه اليقين أو العلم، دون مراعاة للفروق اللغوية الدقيقة بين المادتين، و كون العلم سببا نتيجته اليقين، و أن العلم مقابله الجهل بينما

الشك مقابل اليقين، وأن العلم قد يكون دون اليقين ..." أضف إلى ذلك أن القدماء استفادوا من الفعل (ظن) في القرآن معاني أخرى لا صلة لها بالمعنيين المتضادين، فهم حين عرضوا لقوله –تعالى- حاكيًا عن يونس: "وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ" [الأنبياء: ٨٧]، لم يستطيعوا أن ينسبوا للفعل معنى الشك ولا معنى اليقين؛ فابن الأنباري يحاول أن يجد مخرجًا للفعل (ظن) ينسجم مع الإيمان بنبوة يونس وعدم شكه بقدرة الله، في حين نجد الطبرسي يقر بمعنى الشك في (ظن)، ولكنه يبحث عن المخرج في غيره من الآية؛ إذ يقول : "فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه ...، وقيل: ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه، والقدر بمعنى القضاء ..."[٦].

ومهما يكن من أمر فإن جميع المعاني التي ألصقت بالفعل مستفادة من خارج مادته الأصلية؛ إذ هي تدور مع فكرة النص، وتغير مفهومه لدى المفسرين والعلماء[٧].

وعلى ذلك يقوم البحث بدراسة (الظن) في القرآن الكريم، من خلال النظر إلى السياق بأنماطه المختلفة، والتي تشمل:

(١) السياق اللفظي:

وهو السياق الذي يحدد دلالة اللفظ (الدال)؛ حيث يقوم بعملية فرز للدلالات التي ينتجها المعجم اللغوي بغرض ترشيح المعنى المحدد الذي يدفع به السياق، وذلك من خلال مجموعة من القرائن اللفظية المصاحبة للفظة في سياقها اللغوي الذي يحتضنها، ذلك أن "الكلمات والدلالات ترتبط على نحو وثيق بالسياق وعلاقاته فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد"[8].

(٢) السياق النحوي:

تعد بنى التركيب في السياق من أهم مراحل الوصول إلى القصد و الدلالة، و من ثم تبرز قيمة السياق النحوي الذي يتحكم في عملية وضع الألفاظ، فلا يمكن للكلام أن يكون له معنى إلا أن تضعه الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل وفق قوانينه وأصوله.

(٣) السياق النفسي:

يعنى السياق النفسي باستدعاء الألفاظ ورصفها بالطريقة التي تمكن المتكلم من إحداث التأثير المرجو لدى المتلقي، و"السياق هو الذي يوجه الدلالة النفسية أو العاطفية، فإذا دخلت لفظة في سياق معين يكون لها دلالة نفسية معينة تتناسب مع دلالة السياق، بخلاف ما لو استبدلت من غيرها، وبهذا نجد أن السياق هو الحكم في انتقاء اللفظة ذات التأثير الذي يتلاءم معه، ومراد المتكلم"[9]

(٤) سياق الحال:

هو سياق الموقف أو المقام، حيث تتشكل دلالة للسياق من خلال قراءة "ظروف أداء المقام، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية"[10]؛ إذ يتوافق المقال مع المقام، ويتكون سياق الموقف من عناصر ثلاثة:

(أ) شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.

(ب) العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة المتصلة بالحدث اللغوي.

(ج) أثر الحدث اللغوي في المشتركين؛ إقناعا أو فرحا أو ألما أو إغراء.

(٢) مادة الظن في القرآن الكريم:

قال ابن فارس: "الظاء والنون أصل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك"[١١].

وفي مختار الصحاح "(الظن) العلم دون يقين"[١٢].

وقيل فيه إنه: "الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، وقد يستعمل في اليقين والشك كما يستعمل الشك في الظن"(١٣).

ويعرفه الجرجانى بأنه: "أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"(١٤).

ويقول فيه الأصفهاني: "الظن: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حد التوهم، ومتى قوي أو تصور القوى استعمل معه (أنّ) المشددة أو (أن) المخففة منها، ومتى ضعف استعمل (أنْ) المختصة بالمعدومين من القول والفعل"(١٥).

قال ابن سيده: "الظن: شك ويقين، إلا أنه ليس بيقين عيان، إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان، فلا يقال فيه إلا علم"(١٦).

(الظن) أصله توقع وجود الشئ المظنون؛ لوجود أمارات قوية (لا يمكن تجاهلها) تدل على ذلك، وكلما ترق الإنسان في درجات العلم طابق ظنه الواقع بصورة أكثر صدقا، والعرب تقول بئر ظنون، أي بئر فيها ماء ولكن قعرها بعيد.

وفي قاموس القرآن "(ظن) على أربعة أوجه" العلم والإتقاء، الشك، الحسبان، التهمة"(١٧).

وفي نزهة الأعين النواظر: "الظن في الأصل: قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس، ذكر أهل التفسير أن الظن في القرآن على خمسه أوجه: إحداها: الشك ... والثاني: اليقين ... والثالث: التهمة ... والرابع: الحسبان...، والخامس: الكذب.."(١٨).

وفي التصاريف: "تفسير الظن على أربعة وجوه، الوجه الأول: الظن يعني اليقين... والوجه الثاني: الظن يعني الشك ...، والوجه الثالث: ظن يعني حسب...، والوجه الرابع: الظن يعني التهمة .."(١٩).

قال الفيروزابادى: "... وقد ورد الظن في القرآن مجملًا على أربعة أوجه: بمعنى اليقين، وبمعنى الشك، وبمعنى التهمة، وبمعنى الحسبان"(٢٠).

ووفق ما سبق، فجملة دلالات مادة الظن التي يحققها السياق القرآني – حسبما أورد العلماء والمفسرون – هي:

(١) دلالة اليقين.

(٢) دلالة القطع.

(٣) دلالة العلم.

(٤) دلالة الرجحان.

(٥) دلالة الاعتقاد.

(٦) دلالة الشك.

(٧) دلالة الحسبان.

(٨) دلالة الوهم.

(٩) دلالة الكذب.

وعلينا أن نتوقف بالنظر والتحقيق حيال كل مادة من هذه المواد اللغوية؛ حتى نستجلي حقيقة تعلقها بمادة (الظن) في المدونة القرآنية.

"اليقين العلم وزوال الشك، وعلم اليقين: ليس فيه شك، وربما عبروا بالظن عن اليقين، وباليقين عن الظن"(٢١).

قال ابن جرير الطبري: "والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى"(٢٢)، ومن ذلك قول الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد.

أراد: أيقنوا؛ لأنه إنما يخوف العدو باليقين لا بالشك"(٢٣).

قيل: "اليقين اعتقاد الشيء بأنه كذا، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال والقيد"(٢٤).

فاليقين إذًا لا بد فيه من الجزم، وهو ما ينتفي وجوده في الظن.

(٢) القطع:

يقال في "اليقين" إنه "الاعتقاد الراجح المتناول للقطع والظن" (٢٥).

والقطع يعني: "نفي الاحتمال أصلًا"(٢٦)، وقيل: هو "نفي الاحتمال الناشئ عن دليل"(٢٧)، والفرق بين الحدين مبني على الخلاف في الاحتمال البعيد غير الناشئ عن دليل، هل يؤثر في القطعية؟(٢٨).

فالفرق بين القطع والظن إذًا هو تطرق الاحتمال إلى الظن دون القطع، فالأمر الذي يُظن فيه أمر محتمل لا قطعي.

(٣) العلم:

قيل فيه إنه "معرفة المعلوم على ما هو به"(٢٩)، وقيل: "هو صفة يميز المتصف بها تمييزا جازمًا مطابقًا لا يحتمل النقيض" (٣٠)، فالعلم جزم لا تردد فيه، والظن تردد لا جزم فيه.

(٤) الرجحان:

جاء في القاموس المحيط، "رجح الميزان يرجح، مثلثه، رجوحا ورجحانًا، مال وأرجح له" (٣١)، وفي لسان العرب "أرجح الميزان أي أثقله حتى مال" (٣٢)، يقول الجرجاني في الظن إنه "أحد طرفي الشك بصفة الرجحان" (٣٣)، وقال أبو هلال العسكري: "الظن رجحان أحد طرفي التجويز" (٣٤).

(٥) الاعتقاد:

في المقاييس "(عقد) العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها،... وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه، واعتقد الشيء: صلب، واعتقد الإخاء: ثبت"(٣٥).

ذكر الفيروزابادي في الظن أنه "التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم"(٣٦).

والاعتقاد إما كان خاطئا فهو قريب من الحسبان، إلا أنه لا يحسن في موضعه لفظ الحسبان، وعادة ما يفيد الجهل.

وإما اعتقادا راجحا، و هو المرتبة الثانية من مراتب القسمة بعد اليقين، و يكون دائما الأقرب للحقيقة.

(٦) الشك:

الشك خلاف اليقين" (٣٧)، قال ابن فارس: "الشك سمي بذلك؛ لأن الشك كأنه شك له الأمران في مشك واحد، وهو لا يتيقن واحدا منهما، فمن ذلك الشك" (٣٨)، وعرفه الجرجاني بقوله" هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح

لأحدهما على الآخر عند الشك، وقيل الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين" (٣٩).

وعلى ذلك فالشك هو "تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر" (٤٠)، وإن عرفه بعضهم بأنه "مطلق التردد بين احتمالين أو أكثر؛ سواء تساوت الاحتمالات، أو رجح أحدهما" (٤١)؛ ليدخل بذلك الظن في مسمى الشك.

وذكروا أن الشك خلاف اليقين، وأصله اضطراب النفس، ثم استعمل في التردد بين الشيئين؛ سواء استوى طرفاه أو ترجح أحدهما على الآخر...، قيل: هو تردد الذهن بين أمرين على سواء، قالوا: التردد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشك، وإلا فالراجح ظن، والمرجوح وهم"(٤٢)، قال ابن الجوزي: " الظن في الأصل، قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس، والفرق بينه وبين الشك أن الشك، التردد في أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر" (٤٣).

وهذا الخلط في حد "الشك" واتصاله بالظن موجود حتى لدى العسكري، الذي ذكر في كتابه (الوجوه والنظائر) أن " الظن في العربية على وجهين، الشك واليقين، وقد جاء في القرآن كذلك"(٤٤)، بينما ذكر في فروقه اللغوية أن "الفرق بين الظن والشك أن الشك استواء طرفي التجويز، والظن رجحان أحد طرفي التجويز...، ويجوز أن يقال: الظن قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر" (٤٥).

و مما سبق نجد أن الفرق بين الظن و الشك مما يمكن بيانه فيما يأتي:

(أ) الشك يكون في الفعل مترددا و ليس فيه ترجيح، أما الظن فيكون فيه ترجيح لفعل أحد الأمرين.

(ب) الشك عبارة عن وسوسة داخل الإنسان، أما الظن فيكون مبنيا على أدلة ترجيح أحد الأمرين.

(ج) الظن قد يصل إلى درجة اليقين إذا تأيد الطرف الراجح بأدلة دامغة، أما الشك فلا يرقى إلى مرتبة اليقين.

(٧) الحسبان:

- قال الخليل: "والحسبان من الظن، حسب، لغتان، حسبانًا" (٤٦)، وذكر ابن فارس أن الحاء والسين والباء أصول أربعة، وذكر منها العد، تقول: حسبت الشيء أحسبه حسْبا وحسبَانا، ومن قياس الباب الحسبان الظن، وذلك أنه فرق بينه وبين العد، والعد بتغير الحركة والتصريف، والمعنى واحد؛ لأنه إذا قال: حسبته كذا، فكأنه قال: هو في الذي أعده من الأمور الكائنة، ومن الباب الحسب الذي يعد من الإنسان ... والحسبة: احتسابك الأجر، والأصل الثاني: الكفاية ...، والأصل الثالث "الحسبان، وهي جمع حسبانة، وهي الوسادة الصغيرة ...، والأصل الرابع: الأحسب الذي ابيضت جلدته من داء"(٤٧).

وذكر العسكري في الفرق بين الظن والحسبان أن بعضهم قال: الظن ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حسبانا ليس باعتقاد، فتقول: أحسب أن زيدا قد مات، ولا يجوز أن تعتقد أنه قد مات مع علمك أنه حي، وأصل الحسبان من الحساب، فتقول: أحسبه بالظن قد مات، كما تقول: أعده قد مات، ثم كثر حتى سمي الظن حسبانا على جهه التوسع" (٤٨).

قال الأصفهاني فيه "أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بغرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يُخطِر النقيضين بباله، فيغلب أحدهما على الآخر"(٤٩).

(٨) الوهم:

التوهم: "إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوسات"(٥٠)، أما الوهم فهو من خطرات القلب أو مرجوح طرفي التردد فيه، وكثيرا ما يستعمل الوهم في الظن الفاسد.

فالوهم هو الاحتمال المرجوح"(٥١)، وقيل: تجويز أمرين أحدهما أضعف من الآخر"(٥٢)، والتعريف السابق وإن لم يصرح أن الاحتمال الأضعف هو الوهم إلا أنه يحتمله، ومن ثم فالوهم هو الطرف المرجوح المقابل للطرف الراجح الذي هو الظن.

و نستطيع أن نقول إنه (الظن المرجوح)، وهناك تداخل بين الوهم و الشك، إلا أن الوهم أبلغ في الذم، فمثلا ظن المشركين بآلهتهم لا يعدو أن يكون وهما لا يرقى لمرتبة الشك.

ومن الوهم اشتقت التهمة "واتهمته افتعلته على بناء أفعلت: أي أدخلت عليه التهمة" (٥٣)، وقيل "التهمة الظن"(٥٤) ، وذكر علماء اللغة "أن الظنة بالكسر:التهمة"(٥٥)، في مختار الصحاح "و(الظنين) المتهم، و(الظنة) التهمة، منه: أطنه و(أظنه) بالطاء والظاء إذا اتهمه"(٥٦).

(٩) الكذب:

الكذب "إخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع، فيقال: كذب الظن والسمع والعين والرأي والشيء، لم يتحقق ما يبنى وما يرجى منه (٥٧)، وهو"ضد الصدق" (٥٨). ذكر الكفوي فيه أنه "كل خبر مخبر على خلاف ما أخبره" (٥٩)، وعرفه السيوطي بقوله" بيان خلاف الواقع بالمقصد"(٦٠).

ومن خلال استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي لدلالات (الظن)، وعبر قراءة حدود مادة (الظن) وتحليلها، يمكننا أن نلاحظ أن بعض تعريفات مادة (الظن) تحدد لتلك المادة دلالات بذاتها تفصلها عما عداها من الدلالات، ففي قولهم: إنه "تجويز أمرين أحدهما أظهر من الآخر"(٦١)، إخراج لمواد العلم والقطع واليقين؛ كونها لا تحتمل إلا أمرا واحدا، ومادتي الوهم والشك؛ حيث تستوى الاحتمالات في الشك، والظن رجحان أحد طرفي التجويز، وكون الوهم هو الاحتمال المرجوح، وليس الراجح.

وليس الظن اعتقادا، وذلك ما يبدو من قول أبي هلال العسكري: " بعضهم قال: الظن ضرب من الاعتقاد، وقد يكون حسبانا ليس باعتقاد، فتقول: أحسب أن زيدًا قد مات، ولا يجوز أن تعتقد أنه قد مات مع علمك أنه حي"(٦٢)، ولذا يجب أن نكون على وعي وحذر من استخدام الاعتقاد بديلا للظن في النص القرآني، نسير السياق وفق دلالاته كما ارتأى بعضهم، فقال: "الحقيقة أن الظن لا هو يقين و لا هو شك، على خلاف ما أجمعوا، و لاهو حال بينهما، بل هو معنى محايد، وأرى أن أقرب المعاني إليه الاعتقاد، و الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظ (أعتقد)، وقد يكون استعمل (ظن) بدلا منه، والله أعلم، فالظن معنى يقع بين الشك و اليقين موقع الحياد، فهذه هي حقيقة الظن التي ينبغي على أساسها أن تفسر شواهده في القرآن الكريم في كتب اللغة و التفسير؛ فقوله –تعالى-: " و أنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا" (الجن: ١٢) أي: اعتقدنا، وما يعتقده الإنسان قد يكون في مكانه، و قد يكون في غير محله؛ كاعتقاد المسلم في أخيه المسلم الذي ارتاب به؛ لذلك قال –سبحانه-: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) (الحجرات :١٢) .

ومصطلح العقيدة استعمل لأهل كل ملة، فيقال: عقيدة اليهود، وعقيدة النصارى، وعقيدة المسلمين، فكل منهم يعتقد ما آمن به، و سيعلم يوم القيامة من ضل فيما اعتقد، ومن أصاب، من ذلك قوله –تعالى- :(فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه (١٩) إني ظننت أني ملاق حسابيه) (الحاقة:١٩ – ٢٠)"(63).

و ما ذكره مردود؛ إذ لا تسـوغه مظاهر دقة اللفظ القرآني في مطابقته للمعنى المراد، ولو شـاء –سـبحانه- لاستخدم ما ناسب من لفظ، والفرق بيِّنٌ بيْنَ الاعتقاد والظن؛ إذ الأول قاعدته اليقين، والظن قاعدته الشك.

و(الظن) ليس حسـبانًا كذلك؛ إذ الحسـبان حكم لأحد النقيضـين من غير أن يخطر الآخر بالبال، ...، لكن الظن أن يخطر النقيضين بالبال فيغلب أحدهما على الآخر، وليس (الظن) كذبًا؛ إذ الكذب ضد الصدق.

(الظن) درجة من درجات العلم فوق الشـك ودون اليقين ...، أو هو العلم المسـتند إلى دليل راجح مع احتمال الخطأ، أو هو العلم بالشيء على غير وجه اليقين.

وقد وردت المادة في القرآن الكريم ثمانيا وستين مرة في سياق الآيات التي تظهر طبيعة الإنسان لتكون واحدة من مفردات النص القرآني التي تعكس صـورة النفس البشـرية التي لا تسـتمد من قيم ثابتة، ولا تسـير على منهاج واضح، إنما تتأرجح بين الانفعالات الطارئة، والتصورات العارضة، والاندفاع مع التيارات، تلك النفس التي تضطرب في تقديراتها و تصوراتها.

فالظن يرد مرددا مرات سـتا في سـورة (يونس)؛ ليقضـي على أوهام الإنسـان في اقتداره على كونه ومقدراته، ويأتي مرددا مرات خمسا؛ ليدحض ظنون السوء وتوهمات الناس في سورة (الفتح)، وليعلمهم كيف يحسنون تقدير علم الله، و ما يترتب على دقيق علمه من الجزاء؛ إذ يرد مرددا في سورة (فصلت) ...

الدراسة التطبيقية:

نتوقف هنا بالتحليل والدرس لمادة (الظن) في السياق القرآني؛ بناء على ما ألصق بالمادة من دلالات:

(١) دلالة اليقين:

تقودنا دلالة اليقين التي صـرفها بعض علماء اللغة ومفسـري النص القرآني على أيات عدة وردت فيها مادة (الظن) في القرآن الكريم، إلى النظر في قضـيـة (الأضـداد) في اللغة العربيـة عـامـة، وفي القرآن الكريم على وجـه الخصوص.

والأضـداد مصـطلح أطلقة اللغويون القدامى على الألفاظ التي تنطوي على معنيين متضـادين، مثل الريان، يقال للريان والعطشان، والسليم للسليم والملدوغ، والبصير للبصير والأعمى، والجود للأسود والأبيض ....

وقد ألف غير واحد من الباحثين القدماء في مسائل الأضـداد، وبعض هذه المؤلفات بين أيدينا اليوم مطبوعًا، وبعضـها مخطوطًا، وسـواها مفقود(٦٤)، كما احتوت مؤلفات عديدة في تضـاعيفها فصـولًا ووقفات عن الأضـداد في العربية (٦٥).

ومن قدامى الباحثين من أنكر الأضـداد(٦٦)، ومنهم من أثبتها، ومنهم من وقف منها موقفا وسـطا بين الرفض والقبول.

وفي دراسـته عن تلك الظاهرة يرى نور الدين المنجد أن ثمة عوامل أدت إلى نشـوء الأضـداد، يذكر منها اثني عشر عاملا، وهي:

- الوضع اللغوي الأول، أي أن التضاد سنة من سنن العرب في كلامها.
- تداخل اللهجات واختلافها.
- الاقتراض من اللغات المجاورة.

- التطور اللغوي، ويشمل التطور الصوتي مثل أسر التي تأتي بمعنى أظهر وكتم، فالإظهار من الأصل الشيني أشر كما يرى د/ أحمد مختار عمر، والتطور الدلالي كانتقال الخاص إلى العام، أو العام إلى الخاص مثل رم العظم بمعنى قوي، وبمعنى ضعف كما يرى جيز.

- الأسباب البلاغية: وتشمل الحذف والاختصار، والاستعارة والمجاز.

- الأسباب الصرفية: من مثل صيغة فاعل تدل على الفاعل والمفعول كراضية أو مفعول للدلالة على الفاعل والمفعول، وفعل، وأفعل بمعنى واحد، وفعل وفعّل وغيرها.

- الأسباب الاجتماعية والنفسية: من مثل التفاؤل والتشاؤم؛ كالمفازة للمنجاة والمهلكة والمسجور للملآن والفارغ، والتهكم والسخرية؛ كقولنا للغبي استهزاء: يا ذكي، أو يا فهيم، ويندرج تحت هذا تحسين القبيح وتقبيح الحسن، وتصاحب المعاني المتضادة في الذهن؛ كالبين يدل على الوصال والفراق، واجتماع المعاني المتضادة في النفس، مثل " زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ" [النور: ٣٥] أي شرقية وغربية، والنسبية كالجلل العظيم واليسير نسبيا، والجهة القبلية هي الجهة الجنوبية بالنسبة لسورية، وهي الشمال بالنسبة لليمن.

- البدائية: ويراد بها أن البدائية وطفولة اللغة في أطوارها الأولى كانت من عوامل نشوء الأضداد.

- قانون وحدة وصراع المتضادات: وخلاصة هذا العامل أن كل ضد سبب في اعتبار ضده ضدًّا؛ فلولا الشجاعة لما كان الجبن ضدها، وهكذا.

- علاقة الصوت بالمعنى: وذلك باستحياء الأصوات وربطها بالمعنى ...، مثل السدفة التي يوحي " تتابع أصواتها وتلاحقها بأن هناك انبثاقا بطيئا لشيء من بين شيء آخر، وهما الضوء من الظلمة، ذلك أن صوت السين الصادر من بين الأسنان المنطبقة وما يرافقه من لم الشفة بسبب ضمة السين يوحي بالانبثاق، ثم تأتي حركة اللسان المتجه من الداخل إلى الخارج للنطق بالدال مؤيدة المعنى السابق، حتى إذا استقر صوت الدال الساكن الموحي بالظلمة الساكنة التي ينبثق منها الضوء جاء صوت الفاء المفتوحة الصادر من بين شفتين مفتوحتين موحيا بقرب انتهاء عملية الانبثاق، فأصوات اللفظة بمجموعها عبرت بنغمتها وتتابعها، وحركات أعضاء النطق معها، عن عملية ولادة الضوء من الظلمة"(٦٧).

- السبب والنتيجة: كالظن يراد به الشك واليقين، فالشك واليقين نتيجة.

- غلبة التسمية بأحد الضدين: مثل ميزان الحرارة لمقياس الحرارة والبرودة، والمصعد في حال الصعود والهبوط(٦٨).

على أن دراسة هذه الظاهرة في النص القرآني قد قادت كثيرا من الباحثين إلى إنكار وجودها فيه، فمن خلال دراسته التطبيقية التحليلية لما يزيد على مئة وثلاثين كلمة قرآنية مستنبطة من كتب الأضداد وفقا للمنهج التاريخي، وبقياس اللفظ على أمثاله من القرآن الكريم، يرى المنجد إبطال دعوى التضاد في هذه المفردات القرآنية (٦٥)، فالقرآن لا تضاد فيه عند التحقيق لا في ألفاظه ولا في صيغه" (٦٩)، وقد سبقه إلى ذلك محمد حسين آل ياسين في دراسة أفضت به إلى القول: "نخلص من هذا إلى أن القرآن لم يستعمل هذه الألفاظ على أنها أضداد كما يزعم الأضداديون، وإنما أوهمهم بذلك إغفالهم لاختلاف القراءات في القرآن، وآثار اللهجات فيه، وقياسهم الاستعمال القرآني على الشاهد الشعري دون محاولة استقراء اللفظة التي هم في صدد معالجتها في جميع مواضعها في القرآن، وتمسكهم بالنقل في تحديد المعنى، متجاهلين ما يوضحه السياق من تخصيص الدلالة، وتعيينها بعيدين عن ملاحظة ما يتقدم الآية، وما يتأخر عنها من آيات تشرح فكرتها وتبين غامضها، مدفوعين في ذلك إلى ما يرون أنه هو المعنى المفترض من كلام الله، وإن خالف عربية القرآن نفسه"(٧٠)، ومن قبل نفى إبراهيم السامرائي الأضداد في القرآن في كتابه " التطور اللغوي التاريخي" (٧١)...

أما بخصوص (الظن) في القرآن الكريم فقد ذهب الضديون إلى القول بضديته في مواقع عديدة من القرآن؛ كقوله –تعالى-: (فظنوا أنهم مواقعوها)(الكهف : ٥٣)، أي علموا [٧٢]، و قوله: (وظن داود أنما فتناه)(ص:٢٤)، أي علم[٧٣]، وقوله: (قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله) (البقرة: ٢٤٩)، أي: يتيقنون[٧٤]، وهم حين ينسبون للظن معنى اليقين فليثبتوا أن ضدية الفعل جاءت من تضاد الشك واليقين، والواقع لا يؤيد ما يذهبون إليه؛ لأن هذه الآيات لا تثبت الضدية للفعل، و أن الذي أوهمهم بمعنى التضاد شيء يتصل بفكرة الآية لا بالفعل نفسه.

وإذا يممنا وجهنا نحو اللغويين، وجدناهم انقسموا إلى فريقين من حيث دلالة مادة (الظن)؛ الأول يرى أن إطلاق الظن على اليقين إطلاق حقيقي، بمعنى أن الظن قد يراد به اليقين من حيث الوضع اللغوي، ومن هذا الفريق الأزهري، والفريق الثاني يرى أن إطلاق الظن على اليقين إطلاق مجازي، بمعنى أن الظن من حيث الوضع اللغوي لا يفيد معنى اليقين، وإنما إفادته لذلك تحصل على سبيل المجاز لقرينة تدل عليه، ومن هذا الفريق الجوهري وابن سيده والفيروابادي.

وعلينا إذًا أن نعيد قراءة مادة (الظن) في السياق القرآني من خلال مطالعة السور والآيات التي احتوت هذه المادة، قراءة تعيد صياغة الدلالة، وتحاول أن ترصد المعنى الذي ينطق به السياق القرآني، وما يريد إبلاغه للمتلقي، وذلك باعتبار السياق مقتضى الدلالة.

و إذا شئنا تمثلا لدلالتي الظن واليقين في السياق القرآني، فلننظر إلى نص سورة (الجاثية)؛ إذ يبادر السياق بالمبالغة (تنزيل الكتاب) بإطلاق المصدر على المفعول (تنزيل)، وإقامة الظاهر مقام المضمر (من الله)، ثم توضيح آيات التكوين؛ السماوات والأرض والخلق وما يبث من دابة ليجعلها مجتمعة أسباب اليقين (لقوم يوقنون)، ومن بعد ذلك يركز السياق على الآيات المشاهدة المعلومة .. اختلاف الليل والنهار وما أنزل من السماء من رزق يحيي به أرضا ميتا، وتصريف الرياح، وتسخير البحار، وجريان الفلك، وإنزال الكتب من السماء ...؛ ليجعلها جميعا بصائر للناس وهدى ورحمة (لقوم يوقنون)، هذا اليقين الذي من شأنه أن يقضي على الشك؛ إذ يبنى على قاعدة العلم والتحقق، والذي حق أن يقضي على حالة التردد والاضطراب في الأحكام، حالة (الظن)، فإذا بهم وقد قصر بهم الحال عن إدراك (اليقين) الداعي إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه وبعث الله وحسابه يقفون على أعتاب اليقين، دون أن يدركوه تعاليا واستكبارا، وهو ما تعكسه مادة (الظن) في السياق " نموت ونحيا و ما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون" (آية : ٢٤)، "وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين" (أية : ٣٢)، فالظن في السورة لفظة ضمن سلسلة ألفاظ (تعبيرات) تسهم في ترسيم دلالات السورة والكشف عن مقاصدها، يقول البقاعي: " مقصودها الدلالة على أن منزل هذا الكتاب ... ذو العزة؛ لأنه لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء، والحكمة أنه لم يضع شيئا إلا في أحكم مواضعه ...، وضع شرعا في غاية الاستقامة لا تستقل العقول بإدراكه...، فمن المكلفين من حكم عقله وجانب هواه، فسمع وأطاع، ومنهم من تبع هواه فضل عن نور العقل، فزاغ وأضاع "[٧٥].

في خلال العرض نلحظ كيف استخدم النص لفظي اليقين والظن في رحاب ألفاظ: علم، حسب، ريب، أهواء، أفاك...، وقد تعدد حضور أكثرها في النص؛ حيث وردت في صورة مصاحبات لغوية فعملت على تماسك النص؛ إذ تم انتقاء الألفاظ؛ لتثير جوا مناسبا للأحداث، ترسم الصورة والصورة المقابلة (أهل الاتباع واليقين والعلم وأهل الهوى والريب والظن)؛ لإنتاج الدلالات.

و لنا الآن في وقفة تدبر لدلالة (اليقين) التي ألصقها العلماء والمفسرون بالظن ، ثم قاموا بتحليل السياق من خلالها:

أورد صاحب بصائر ذوي التمييز[٧٦] "أن (الظن) بمعنى (اليقين)، يأتي في عشرة مواضع من النص القرآني، أولها قوله –تعالى-: (يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ) [البقرة: ٤٦].

وقد جعلوا للظن في الآية جملة دلالات، هي: التوقع، والعلم، واليقين.

قال الزمخشري: "(الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) أي: يتوقعون لقاء ثوابه، ونيل ما عنده ويطمعون فيه، وفي مصحف عبد الله: يعلمون، ومعناه يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك، ولذلك فسر يظنون بيتيقنون"[٧٧]، وفي البحر المحيط "و(يظنون) معناه يوقنون، قاله الجمهور؛ لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه...، قال ابن عطية: قد يوقع الظن موقع اليقين في الأمور المتحققة، لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس"[٧٨].

كما يبدو أن ما حول وجهة الدلالة لفعل (يظن) هنا هو بناؤهم لمادة (الظن) على الشك، يقول القرطبي: "وأصل الظن وقاعدته الشك، مع ميل إلى أحد معتقديه"[٧٩].

بيد أن (الظن) الوارد في الآية قائم على الترجيح، وليس ذلك في الشك؛ فالشك ما استوى فيه اعتقادان، ولكن لم ينته أحدهما إلى الظهور، يقول الشعراوي في تفسيره لاستخدام لفظ الظن في الآية بديلًا عن اليقين: "لأن مجرد الظن أنك ملاق الله -سبحانه وتعالى-...، كاف أن يجعلك تلتزم بالمنهج، فما بالك إذا كنت متيقنه...، فمجرد أن القضية راجحة، هذا يكفي لاتباع منهج الله"[٨٠].

إن مقتضى السياق الدلالي في الآية هو الذي حتم وجود مادة (الظن)، بوصفها الأنسب في ترسيم الدلالة؛ ذلك أن الآية ترد في سياق خطاب بني إسرائيل، هذا الخطاب الذي تخولته جمل الإنشاء؛ النداء، والأمر، والنهى، والاستفهام، و جميعها أساليب مجلوبة في النص؛ لإثارة الحركة وتنبيه الذهن، حيث رصفت الجمل في توال واسترسال وتلاحم، بفعل أداة شكلية دلالية هي الواو، وقد وردت في ثنايا تلك الجمل جمل التوكيد.

ما يلبث –سبحانه- يدعو بني اسرائيل باللطف واللين، حتى يأخذهم بالشدة فيندد بأعمالهم ويوبخ سلوكهم، ثم ما يلبث أن يلين لهم ... "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ " "وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ" "وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"، "وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم"، " وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ"وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا " "وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ" " وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" "وَآتُوا الزَّكَاةَ" "وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ""أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ" "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ".

فالسياق السابق لمادة الظن كما يتبدى يبدأ "بنداء علوي جليل إلى بني إسرائيل، يذكرهم بنعمته – تعالى – عليهم، ويدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه؛ ليوفي بعهده معهم، وإلى تقواه وخشيته، يمهد بها لدعوتهم إلى الإيمان بما أنزله مصدقاً لما معهم، ويندد بموقفهم منه، وكفرهم به أول من يكفرا كما يندد بتلبيسهم الحق بالباطل وكتمان الحق؛ ليموهوا على الناس...، ويأمرهم أن يدخلوا في الصف... فيقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويركعوا مع الراكعين، مستعينين على قهر نفوسهم، وتطويعها للإندماج في الدين الجديد بالصبر والصلاة"[٨١].

فالآية وما تضمنته من فعل الظن حلقة في تلك السلسلة "مشيرة مع الترهيب لذوي الهمم العلية والأنفة والحمية من الوقوع فيما يلم بعيب أو يوقع في عتب إلى الاستحياء من المحسن الذي ما قطع إحسانه ساعة من الدهر"[٨٢].

وفيها تبكيت لبني إسرائيل "بأنهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه، فضلًا عن أنه يعلمه"[٨٣]، وعلى ذلك فقد عبر بالظن "تهويلًا للأمر، وتنبيهًا على أنه يكفي العاقل في الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو المخوف، فكيف والأمر متيقن لا مراء فيه ولا تطرق للريب إليه"[٨٤].

ولما كان الظن عند أهل اللغة درجات ويترفع إلى درجة اليقين وإن لم يصل إليها، وهو علم ما لم يعاين (أي علم ما لا تبصره) ...، فالظن أبلغ من اليقين هنا، يوقن الخاشعون باليوم الآخر، ولكن هل يمكن أن يوقنوا أنهم يلقون ربهم على ما هم عليه من الإيمان؟.

ولعل ما في الآية الكريمة من ذكر للفظ الظن ما يعني أن النجاة يوم القيامة لا تكون لأهل اليقين فقط، بل تشمل الذين سلكوا بغلبة الظن.

وتوجيه (الظن) هنا خلاف توجيه (الظن) في الآية التي أشبهت تلك الآية من السورة ذاتها "قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " [البقرة: ٢٤٩]، إذ هؤلاء فئة ثابتة اليقين، ممحصة الإيمان بعد ابتلاء، "إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ... فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ" [البقرة : ٢٤٩]، إذ الظن في الآية الأولى يرد في إطار سياق نفسي عاطفي، وهو السياق "المحدد لدرجة القوة أو الضعف أو الانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدال"(٨٥).

فلفظه (يظن) في سياق الآية الأولى موجهة في السياق، حيث تم انتقاؤها لتتلاءم مع مراد المخاطب سبحانه اعتمادًا على ما تثيره من استجابة أو ردود أفعال، وبما يوافق المقام، بينما يرد الفعل (يظن) في الآية الثانية في إطار سياق الحال أو المقام، حيث يعنى السياق بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية، وذلك في إطار المسرح اللغوي، من خلال النظر إلى العناصر المكونة للموقف الكلامي، حيث تتناسب مادة (الظن) مع الحدث المحدد بذاته وأحواله في النص، فالظن في الآية "يمكن أن يكون معناه: الذين وطنوا أنفسهم على الثبات في ساحة القتال، وظنوا أنهم سيلاقون ربهم في هذه الواقعة"(٨٦)، على أنهم لم يكونوا قد استيقنوا بالشهادة.

وإذا شئت التماس فروق الدلالة فانظر إلى إضافة لفظة "مُّلَاقُو" في كل: إذ أضيفت في الآية الأولى إلى "ربهم" حيث في "التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم إيذان بفيضان إحسانه إليهم"(٨٧)، بينما أضيف اللفظ في الآية الثانية إلى اسمه –تعالى- "الله"، يقول البقاعي: "أي الذي له الجلال والإكرام، إشارة إلى أنه يكفي في الخوف من الله والرجاء له الظن؛ لأنه يوجب فرار العاقل مما يظن أنه يكرهه -سبحانه وتعالى- إنقاذًا لنفسه من الهلاك"(٨٨).

فهذه الفئة من المؤمنين الذين ثبتوا في ساحة القتال، قد رجحت لقاء الله في تلك الموقعة بعدما تبين لهم من شدة لقاء عدوهم، مما كشف عنه سياق السباق "قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده" [البقرة: ٢٤٩]، ومن ثم استخدم فعل الظن لترجيح ملاقاته –سبحانه- في تلك الموقعة دون تيقن ذلك.

في قوله –تعالى-: "وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ" [القيامة: ٢٨]، قيل إن الظن هنا لليقين، أي: "وأيقن المحتضر أن ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها"(٨٩)، والسياق كله سياق نفسي تحركه العواطف والرغبات والنزوع إلى أشياء وتفضيلها؛ حيث لا تكاد النفس تتقبل فكرة حدوث ما لا ترجو وتتمنى، فالحالة النفسية والموقف الانفعالي يجعل مادة (الظن) الأجدر بالوجود، قال الرازي: "سمي اليقين ههنا بالظن؛ لأن الإنسان ما دام يبقى روحه متعلقاً ببدنه، فإنه يطمع في الحياة؛ لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ...، ولا ينقطع رجاؤهم عنها، فلا يحصل له يقين الموت، بل الظن الغالب مع رجاء الحياة، أو لعله سماه بالظن على سبيل التهكم"(٩٠).

فاستخدام مادة "الظن" هنا إدراك لطبائع البشر وأحوالهم النفسية، وما يحركهم من حرص على الدنيا وتمسك بحبائلها، وإن كان الإنسان على شفا مغادرتها، فلفظة "الظن" في السياق صادرة عن علم إلهي بتعلق الإنسان بالدنيا، ورغبة في البقاء فيها، يدعم هذا التوجيه ما تقدم في سياق السباق من قوله –تعالى-: "كلا بل تحبون العاجلة" [القيامة: ٢٠].

تقدم سياق الآية من السورة ذاتها قوله –تعالى- :" تظن أن يفعل بها فاقرة" [القيامة: ٢٥]، وفسر الظن فيها أيضاً على اليقين، قال الرازي: "والظن ههنا بمعنى اليقين، هكذا قال المفسرون" (٩١)، وقال غيره: "تظن: يتوقع أربابها"(٩٢).

ولفظة (الظن) هنا - هي الأخرى - تقدم وفق سياق نفسي تحركه المطامع في تخفيف العقوبة على ترجيح حدوثها ولحوقها بمن يستحقها، و(الظن) قائم على شواهد وأمارات مع سبق تحذير وإنذار يستدعي وقوع العقوبة، فهي تتوقع بما ترى من المخايل، يقول الرازي: "عندي أن الظن إنما ذكر ههنا على سبيل التهكم، كأنه قيل: إذا شاهدوا تلك الأحوال، حصل فيهم ظن أن القيامة حق" (٩٣)، على أن دلالة التهكم وإن كانت غير مستبعدة إلا أنها ليست الأصل، إنما يتحرك السياق وفق ما يعلم –سبحانه- من طبيعة البشر، وطمعهم في أي نجاة، فلعلهم يرجون رحمة الله، ومن ثم لم يتيقنوا أن الداهية تصيبهم، وما يدعم هذا قوله في سياق اللحاق "أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى" [القيامة: ٣٦]، فهو في الدنيا يحسب أن "يخلى مهملًا فلا يكلف ولا يجزى"(٩٤)، ويطمع أن يترك في قبره ولا يبعث، فكما حسب هناك في أمور الدنيا ظن بعقاب الآخرة، على ما بين الحسبان والظن من تباين في الدلالة.

وكذلك فسر (الظن) على دلالة اليقين في قوله –تعالى-: "إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ" [الحاقة: ٢٠]، قال ابن عطية: "و(ظننت) هنا واقعة موقع "تيقنت"، وهي في متيقن لم يقع بعد ولا خرج إلى الحس، وهذا هو باب الظن الذي يقع موقع اليقين" (٨٨)، وفي روح المعاني: "أي علمت ذلك كما قال الأكثرون، بناء على أن الظاهر من حال المؤمن تيقن أمور الآخرة كالحساب" (٩٥).

على أن من يفسر الظن على دلالة اليقين يعود فيفسره وفق دلالات مادة الظن، يقول الألوسي: "لكن الأمور النظرية لكون تفاصيلها لا تخلو عن تردد ما في بعضها مما لا يفوت اليقين فيه كسهولة الحساب وشدته مثلا، عبر عن العلم بالظن مجازًا للإشعار بذلك، وقيل: لما كان الاعتقاد بأمور الآخرة مطلقاً مما لا ينفك عن الهواجس والخطرات النفسية كسائر العلوم النظرية، نزل منزلة الظن فعبر عنه به لذلك، وفيه إشارة إلى أن ذلك غير قادح في الإيمان، وجوز أن يكون الظن على حقيقته على أن يكون المراد من حسابه ما حصل له من الحساب اليسير، فإن ذلك مما لا يقين له به، وإنما ظنه ورجحه لمزيد وثوقه برحمة الله –تعالى-" (٩٦)، قال أبو السعود: "ولعل التعبير عنه بالظن للإشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبًا" (٩٧)، قال البقاعي: "(إني ظننت)، أي في هذا اليوم خوفًا من سوء أعمالي التي أعرفها في نفسي"(٩٨).

لفظ (الظن) في الآية وإن كانت تتحكم في سياق وروده دلالة العاطفة وما تنطق به النفس، فهو ينسجم من جانب آخر مع محور السورة بأسرها، فالقيامة حق وصدق وثبات ووجوب وإحكام ويقين، تأتي لتقطع هواجس كل نفس، وتقضي على كل ارتياب في وقوعها، وما يترتب عليها من حساب، وإنما يكفي الإنسان أن ترجح عنده قضية الحساب، وأن يعمل وفق ما ترجح لديه.

فالإنسان يكفيه "الظن"؛ ليردعه عن التكذيب الكامل بالقضية، وما يترتب على ذلك من سوء العاقبة، فعلى هذا المنوال يحكم السياق بدلالة العاطفة في الرسالة العامة التي ينقلها، مدعوما ببيان حال المكذبين، ففي سياق السباق للآية " كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ" [آية:٤]، "وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ " [آية:٩]، ويتساوق هذا مع سياق اللحاق "وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ، وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ" [الآيات: ٤٩ –٥١]، فالظن الراجح في القضية إذًا منجاة من هلاك محقق يعاينه المكذبون.

وقيل إن (الظن) بمعنى اليقين أو العلم في قوله –تعالى-: "وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ" [الجن: ١٢]، قال الرازي: "الظن" بمعنى اليقين"(٩٩)، وقال أبو السعود: "وَأَنَّا ظَنَنَّا" أي علمنا الآن"(١٠٠).

وبمثل ذلك قال ابن عاشــور: وذكر فعل"ظننا" تأكيد لفظي لفعل "آمنا" المقدر بحرف العطف؛ لأن الإيمان يقين، وأطلق الظن هنا على اليقين، وهو إطلاق كثير"(١٠١)، ويرى البقاعي أنهم إنما "أطلقوا الظن على العلم؛ إشارة إلى أن العاقل ينبغي له أن يجتنب ما يخيله ضارًا ولو بأدنى أنواع الحيل، فكيف إذا تيقن؟!" (١٠٢)، فعلل ترشيح السياق لمادة (الظن) على أن ترجيح الأمر كاف في قضية الإيمان مقابل للتكذيب، وهو ما نطق به سياق السباق، "وَأَنَّا ظَنَنَّا" "أي بما لنا من سلامة الفطر المقتضية لتحسين الظن"(١٠٣)، "أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" [الجن:٥]، والظن المرجح للتصديق بالقضية هنا يأتي مقابل الظن المرجح للنفي في قوله –تعالى- في السياق السابق للآية "وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا" [آية: ٧].

وورود فعل الظن وترديده في الآيات يقضي بعجز الجن، ويحدد مدى قدرتهم على الأشياء، فكما ظنوا "أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا" مما نفى الواقع حدوثه، فهم كانوا يظنون عجبا وكبرا "أنهم لن يعجزوا الله في الأرض هربا"، فثم ارتياب داخلهم حيال تلك الحقيقة الثابتة، ثم دعاهم الواقع إلى التيقن، تمثل ذلك اليقين جليا من خلال ما ذكروا في سياق السباق "وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا"(آية:٩).

وجه الظن على دلالة اليقين أيضًا في قوله –تعالى- : "أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ " [المطففين:٤]، ثم إنهم أضافوا إليه أصل الدلالة، ففي الجامع لأحكام القرآن: "أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ" إنكار وتعجيب عن عظيم حالهم في الاجتراء على التطفيف، كأنهم لا يخطرون ببالهم، ولا يخمنون تخمينًا "أنهم مبعوثون" فمسئولون عما يفعلون، والظن هنا بمعنى اليقين، أي: ألا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظن بمعنى التردد، أي :إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلا ظنوه؛ حتى يتدبروا ويبحثوا عنه، ويأخذوا بالأحوط" (١٠٤)، فالظن مستدعٍ لإثبات حالة التردد والاضطراب، إلى جانب إثارته في السياق لدلالتي الإنكار والتعجب.

كما وجه الظن على اليقين في قوله –تعالى-: "وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ " [فصلت :٤٨]، ففي البحر المحيط " (وَظَنُّوا) أي: أيقنوا (١٠٥).

وورد فعل الظن في الآية مرتبطا بالسياق قبله، وما بدا فيه من طبائع الغفلة والجهل وسوء التقدير"وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ" "قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ، وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ" [فصلت: ٤٧ -٤٨]، "وكأنهم كانوا لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع، يتوقعون أن يظفروا بهم، فيشفعوا لهم، وكذلك عبر بالظن في قوله: (وظنوا) أي في ذلك الحال"(١٠٦)، والظن هنا ترجيح لخسرانهم هذا الخسران الذي قدم السياق بذكره؛ إذ يرد الظن في السياق مقابلا في قوله: "وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ"، حين يبدو حالهم وقد رجحوا عدم قبول الدعوة "وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ " [فصلت: ٢٢ – ٢٣] .

"وهذا الظن كفر وجهل بالله، وسوء معتقد يؤدي إلى تكذيب الرسل والشك في علم الإله"(١٠٧)، فهذا ظن رجح ما هم عليه من اعتقاد، وذاك ظن رجح ما دعوا إليه، ففروا منه وكذبوه، (وظنوا ما لهم من محيص)؛ لأن الإنسان يبقى متعلقا بعفو الله ورحمته، ويرجو النجاة حتى يواقع النار، وحتى عند مواقعتها يبقى طالبا للخروج متعلقا برحمة الله.

تأرجحت الدلالة أيضا ما بين الظن واليقين في قوله –تعالى-: "وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ" [التوبة: ١١٨]، قال أبو السعود: "أي علموا أنه لا ملجأ من سخطه –تعالى- إلا إلى استغفاره" (١٠٨)، "وظنوا أي علموا، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: أيقنوا ...، وقال قوم: الظن على بابه من ترجيح أحد الجائزين؛ لأنه وقف أمرهم على الوحي، ولم يكونوا قاطعين بأنه ينزل في شأنهم قرآن، أو كانوا قاطعين، لكنهم يجوزون تطويل المدة في بقائهم في

الشـدة، فالظن عاد إلى تجويز تلك المدة القصـيرة"(١٠٩)، ويرى البقاعي أن "(ظنوا) أي أيقنوا، ولعله عبر بالظن؛ إيذانا بأنهم لشـدة الحيرة كانت قلوبهم لا تسـتقر على حال، فكان يقينهم لشـدة الخواطر كأنه ظن، أو يقال وهو أحسـن: إن التعبير به عن يقين المخلصـين إشـارة إلى أن أعلى اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه ألا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره"(١١٠).

ونظرة في السـياق تبرر ظهور فعل الظن (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضـاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضـاقت عليهم أنفسـهم و ظنوا أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه)، فهم لاسـتشـعارهم عظيم ما وقعوا فيه، لم يسـتيقنوا أن تشـملهم رحمة الله، فلجئوا إلى الله، والملجأ يقي من الخطر، يقول السـامرائي: "بمعنى أنهم يطمعون في رحمة الله، والتوبة عليهم، وهذا موطن ظن لا تيقن"(١١١).

ولا مجال لإلحاق دلالة اليقين بمادة الظن كما ذهب بعض علماء اللغة والتفسـير في تأويل قوله –تعالى- : "إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ" [البقرة: ٢٣٠]؛ إذ ترد الآية في سـياق الحديث عن تلافي وجوه الخلاف بين الزوجين، وأن يصـلحا ما بينهما، وأن يتراجعا من بعد طلاقهما" إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ "، قال أبو السـعود: "ولا وجه لتفسـير الظن بالعلم لما أن العواقب غير معلومة، ولأن (أن) الناصـبة للتوقع المنافي للعلم، وذلك لا يكاد يقال علمت أن يقوم زيد" (١١٢)، وقال البقاعي: "(إِن ظَنَّا) أي وقع في ظن كل منهما" (١١٣)، وقال الشـعراوي: "إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ" أي أن يغلب على الظن أن المسائل التي كانت مثار خلاف فيما مضى، قد انتهت"(١١٤).

قال تعالى: "ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله"(البقرة :٢٢٩)، ثم قال في السياق نفسـه: "فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله". في الطلاق المحذور المخوف، قال: "أن يخافا أن يقيما حدود الله"، وفي الزواج المرغوب المتوقع أن يلتزموا فيه بالحدود، قال: "إن ظنا أن يقيما حدود الله".

وعلى نحو مما سـبق توجيه مادة الظن به في الآية الكريمة "(و ظنوا ما لهم من محيص)" يمكن توجيه دلالة الظن في قوله –تعالى-: "ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفا" (الكهف:٥٣)، هؤلاء رأوا النار بعين اليقين، ويتوقعون الوقوع فيها في كل لحظة وفي كل خطوة يتحركونها، ولكن لا يعلمون يقينا أتكون المواقعة في الخطوة الآتية أم التي تليها. فلفظ (الظن) مشحون بدلالات نفسية عديدة، ومن ذلك أنه:

(أ) يعكس حالتهم وما نالهم من قلق واضطراب.

(ب) انتظارهم للوقوع في النار وظنهم حيال ملابسـاته الزمانية يعد لونا من ألون التعذيب لهم كما كانوا يسومون أهل الحق ألوان التنكيل قبل إيقاع العذاب بهم في الدنيا.

(ج) ظنهم الوقوع في النار دون التيقن طمع في النجاة، حتى إذا ما وقعوا بغتة تبددت كل آمالهم في النجاة.

يقول السـامرائي فيها: "بمعنى أنهم لم ييأسـوا من أن يخفف الله عنهم، ولكن الظن الراجح أنهم سـيواقعون النار"(١١٥).

كما يمكن إدراك قيم الظن كذلك في قوله –تعالى-: "وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصـين" (يونس:٢٢)، فهم لم يسـتيقنوا الهلاك، و إلا فما قيمة الدعاء في قوله –تعالى-: (دعوا الله مخلصـين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)؟.

أما الآية في سـورة (ص) فكانت مثار خلاف في تفسـير مادة الظن، يقول –تعالى-: "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ" (ص: ٢٤)، قيل: "و(ظن) معناه أيقن، قال أبو عمرو والفراء: ظن بمعنى أيقن، إلا أن الفراء شـرحه بأنه لا يجوز في المعايير أن يكون الظن إلا بمعنى اليقين" (١١٦)، قال أبو السـعود: "الظن مسـتعار للعلم الاسـتدلالي؛ لما بينهما من المشـابهة الظاهرة، أي علم بما جرى في مجلس الحكومة"(١١٧)، وفي البحر المحيط: "(وَظَنَّ دَاوُودُ)" لما كان الظن الغالب يقارب

العلم اســتعير له، ومعناه: وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصــمين، وأنكر ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين، وقال: "لســنا نجده في كلام العرب، وإنما توقيف بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر، وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس، ودلالة اليقين التام، ولكن يخلط الناس في هذه ويقولون: ظن بمعنى أيقن" (١١٨)، ويرهن البقاعي مادة الظن في الآية بتوقيت الظن فيقول: "(وَظَنَّ دَاوُودُ) أي بذهابهم قبل فصــل الأمر وقد دهمه من ذلك أمر عظيم من عظمة الله، لا عهد له بمثله"(١١٩).

ومن التفســيرات أن داوود -عليه الســلام- كان منفردا في محرابه للعبادة، وأن وقته هذا لا يدخل فيه عليه أحد، فلما دخل عليه الخصمان من غير المدخل (إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داوود ففزع منهم) (الآيات:٢١-٢٢)، وذلك في غير جلوسه للحكم، فزع منهما، ظانا أن ما أقدمهما على تلك الحال إلا رغبة في إيقاع أذى به، فلما اتضح له أنهما إنما أجاءتهما خصومة (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا)، و ليس ما ظن، استغفر من ذلك الظن، و(خر ســاجدا)، فغفر الله له ذلك الظن، وربما يكون هذا أفضــل توجيه للظن في الآية على ما يعنيه من تنزيه نبي الله داوود عن كل ما لا يتلاءم مع نبوته، و هذا متفق مع ما وصــفه الله به من صــفات قبل ذكر نبأ الخصم (ذا الأيد إنه أواب...آتينه الحكمة و فصل الخطاب).

والأمر كله كما يبدو متصلا بالحكم في القضــية، كما يقضــي ســياق الســباق: (فاحكم بيننا و لا تشــطط واهدنا ســواء الصــراط)(آية: ٢٢)، و ســياق اللحاق (يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى فيضــلك عن ســبيل الله)(آية:٢٦)، لقد قضــى داوود في الأمر قضــاء فيه بعض منافاة للحق فجار فيه على أحد الخصــمين، ورجح داود أن ما أخطأ فيه هو من قبيل الفتنة، هذا الترجيح الذي ظهر مع الفعل(ظن)، وهذا الظن المرجح الذي دفعه للاستغفار (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب)(آية:٢٤).

(٢) دلالة الشك:

ذكر ابن الجوزي أن من الشـــك "قولـه –تعـالى- في البقرة: "وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" وفي الجـاثيـة: "إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا"(١٢٠).

أما قوله –تعالى-: "وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" [البقرة: ٧٨]، فقد جعل المفسرون لفعل (الظن) فيه عدة دلالات؛ ففي البحر المحيط: "ومعنى يظنون قال مجاهد: يكذبون، وقال آخرون: يتحدثون، وقال آخرون: يشــكون، وهو التردد بين أمرين لا يترجح أحدهما على الناظر فيهما" (١٢١)، وقال القرطبي: "يظنون: يكذبون ويحدســون؛ لأنه لا علم لهم بصحة ما يتلون، وإنما هم مقلدون لأحبارهم فيما يقرءون به، قال أبو بكر الأنباري: وقد حدثنا أحمد بن يحيى النحوي أن العرب تجعل الظن علمًا وشــكًّا وكذبًا، وقال: إذا قامت براهين العلم، فكانت أكثر من براهين الشــك، فالظن يقين، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشـك، فالظن شـك، وإذا زادت براهين الشـك على براهين اليقين، فالظن كذب، قال الله -عزوجل-: "وإن هم إلا يظنون" أراد: إلا يكذبون"(١٢٢)، قال الرازي: "إلا يظنون" بمعنى يقدرون ويخرصون"(١٢٣)، وقال البغوي: "يظنون ظنًّا وتوهمًا لا يقينًا"(١٢٤).

على أن الظن لا يحتمل في الســياق إلا أن يكون على بابه في التردد بين النقيضــين مع الميل لأحدهما، يقول ابن عطية: "والظن هنا على بابه في الميل إلى أحد الجائزين" (١٢٥)، يقول أبو حيان الأندلســي: "والأولى حمله على موضــوعه الأصلي، وهو الترجيح لأحد الأمرين على الآخر...، ولا يلزم الترجيح عندهم أن يكون ترجيحًا في نفس الأمر، وقال مقاتل: معناه ليسوا على يقين أن كذب الرؤساء أو صدقوا بايعوهم...، وأتى بالخبر فعلًا مضارعًا، ولم يأت باسم الفاعل؛ لأنه يدل على حدوث الظن وتجدده لهم شــيئًا فشــيئًا، فليســوا ثابتين على ظن واحد، بل يتجدد لهم ظنون دالة على

اضطراب عقائهم، واختلاف أهوائهم" (١٢٦)، قال أبو السعود: "ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم، فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين"(١٢٧).

في الجاثية: "إن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا" [الآية: ٣٢]، قال البغوى: "ما نعلم ذلك إلا حدسًا وتوهمًا" (١٢٨)، فحمل دلالة الظن على التوهم، أي أنه حمله على إدراك المعنى الجزئي، أما أبو السعود فقد حمل الظن على الاعتقاد "وقيل ما نعتقد إلا ظنًّا أي لا علمًا"(١٢٩)، يقول البقاعي: "أي ما (نظن) أي نعتقد ما تخبروننا به عنها (إلا ظنًّا)، وأما وصوله إلى درجة العلم فلا، ولما كان المحصور لا بد وأن يكون أخص من المحصور فيه، كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد، ولعله عبر عنه بلفظ الظن؛ تأكيدًا لمعنى الحصر، ولذلك عطفوا عليه – تصريحًا بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم – قولهم: (وما نحن) وأكدوا النفي، فقالوا: (بمستيقنين) أي بموجود عندنا اليقين في أمرها، ولا بطالبين له" (١٣٠).

والسياق لا يحتمل إلا إبقاء الظن على أصل دلالته، وهو التردد مع الترجيح دون التأكيد، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى إن نظن إلا ظنًّا؟ قلت: أصله: نظن ظنًّا، ومعناه إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفيد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزيد نفي ما سوى الظن توكيدًا بقوله: (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِين)"(١٣١)، قال أبو السعود: "وقيل ما نحن إلا نظن ظنًّا، وقيل: ما نظن إلا ظنًّا ضعيفًا ويده قوله –تعالى-: (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)، أي لإمكانه، فإن مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه"(١٣٢).

ويحمل الرازي مقولتهم بدلالة الاستهزاء، مع تحميل الظن دلالة الشك، يقول: "الأغلب على الظن أن القوم كانوا في هذه االمسألة على قولين، منهم من كان قاطعا بنفي البعث والقيامة، وهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة بقوله: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا"، ومنهم من كان شاكًّا متحيرًا فيه؛ لأنهم لكثرة ما سمعوه من الرسول -صلّى الله عليه وسلم- ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته، صاروا شاكين فيه، وهم الذين أرادهم الله بهذه الآية (إن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا)، إنما ذكروه على سبيل الاستهزاء والسخرية، وعلى هذا الوجه فهذا الفريق شر من الفريق الأول؛ لأن الأولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين، وهذا الفريق ضم إلى الإصرار على الإنكار الاستهزاء"(١٣٣)، و يقبل من قول الرازي ما أظهر من دلالة السخرية والاستهزاء، دون الخضوع لحمله الظن على الشك؛ إذ الراجح من قولهم في السياق (وما نحن بمستيقنين) أن ظنهم أقرب إلى اليقين.

(٣) دلالة التهمة:

"الظن بمعنى التهمة، قوله –تعالى- في سورة الأحزاب: "وتظنون بالله الظنونا"، وقوله –تعالى- في سورة التكوير: "وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ" (آية: ٢٤) يعني بمتهم، وقال –تعالى- في سورة الفتح: "وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ"(١٣٤)، وقال في الأحزاب: "وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا " [الأحزاب: ١٠].

قال ابن منظور: "والتهمة: أصلها الوُهمة من الوهم ...، يقال: اتهمت فلانًا،.... أي أدخلت عليه التهمة، وقال ابن سيده: التهمة الظن ...، وأتْهم الرجل.... إذا صارت به الريبة ....، وفي الحديث: أو أنه حبس في تهمة"(١٣٥).

وكما يبدو للوهلة الأولى أن التهمة مقارنة للريب وظن السوء في قوله –تعالى-: (و تظنون بالله الظنونا)، والسياق لا يستقيم البتة على هذا النحو، وقد وردت الآية يتقدمها سياق سباق يقول فيه –تعالى-: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ " [آية: ٩]، وسياق لحاق ورد فيه قوله –تعالى-: "هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا" [آية:١١]، فلابد وأن يوجه الظن ها هنا على أصل دلالته؛ إذا المخاطب في الآية مؤمنون حال ابتلاء، وعلى ذلك يستبعد كونهم فريقين كما ذكر بعض المفسرين "فظن المؤمنون الخلص أن ما وعدهم الله من النصر حق، وأنهم يستظهرون، وظن الضعيف الإيمان مضطربه، والمنافقون أن الرسول والمؤمنين سيغلبون، وكل هؤلاء يشملهم الضمير في (وتظنون)، وقال الحسن: ظنوا ظنونا مختلفة، ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون، وظن المؤمنون أنهم

يبتلون، وقال ابن عطية: "أي يكادون يضطربون ويقولون: ما هذا الخلف للوعد، وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمؤمنين لا يمكن للبشر دفعها، وأما المنافقون فعجلوا ونطقوا، وقال الزمخشري: "ظن المؤمنون الثبت القلوب بالله يبتليهم ويفتنهم، فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، والضعاف القلوب الذين هم على حرف، والمنافقون ظنوا بالله ما حكى عنهم"[١٣٦]، يقول الرازي: "فما الفائدة في جمع الظنون، قال ظننتم ظنًّا بعد ظن، أي ما ثبتم على ظن، فالفائدة هي أن الله –تعالى- لو قال: تظنون ظنًّا، جاز أن يكونوا مصيبين، فإذا قال: ظنوناً، تبين أن فيهم من كان ظنه كاذبًا؛ لأن الظنون قد تكذب كلها، وقد يكذب بعضها، فقوله (الظنونا) أفاد أن فيهم من أخطأ الظن، ولو قال تظنون بالله ظنًّا ما كان يفيد هذا"[١٣٧].

والظنون وإن تعددت وكان منطلقها الإيمان بدلالة النداء "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" و"ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ" فهي تتعدد في مسارب مختلفة، جميعها يلتقي على حسن الظن وإن تفاوتت ألوانه، يقول أبو السعود: "(وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ) لمن يظهر الإيمان على الإطلاق، أي تظنون بالله –تعالى- أنواع الظنون المختلفة؛ حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله –تعالى- ينجز وعده في إعلاء دينه... أو يمتحنهم، فخافوا الزلل وضعف الاحتمال"[١٣٨].

قال ابن عاشور: "وفي صيغة المضارع معنى التعجيب من ظنونهم؛ لإدماج العتاب بالامتنان؛ فإن شدة الهلع الذي أزاغ الأبصار وجعل القلوب بمثل حالة أن تبلغ الحناجر، دل على أنهم أشفقوا من أن يهزموا؛ لما رأوا من قوة الأحزاب وضيق الحصار، أو خافوا طول مدة الحرب وفناء الأنفس، أو أشفقوا من أن تكون من الهزيمة جراءة للمشركين على المسلمين، أو نحو ذلك من أنواع الظنون وتفاوت درجات أهلها، والمؤمن وإن كان يثق بوعد ربه، لكنه لا يأمن غضبه من جراء تقصيره، ويخشى أن يكون النصر مرجأ إلى زمن آخر، فإن ما في علم الله وحكمته لا يحاط به"[١٣٩].

قوله –تعالى-: " وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ" [الفتح: ١٢] يأتي في سياق قوله –سبحانه-: "بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا " [آية:١٢].

قال أبو السعود: "(بَلْ ظَنَنتُمْ) (أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا) بأن يستأصلهم المشركون بالمرة، فخشيتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم، فلأجل ذلك تخلفتم.... (وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) المراد به إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليهم بالسوء، أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته -عليه الصلاة والسلام-؛ فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكرة ما ذكر من الاستئصال"[١٤٠]، قال القرطبي: "(وظننتم ظن السوء) أن الله لا ينصر رسوله"[١٤١].

وكما يتضح من تفسير الآيات أن الظن فيها باق على أصل دلالته وإن حدد بالراجح وهو السوء، فاستعبد ترجيح الظن الحسن.

وقد جمع الفيروزابادي في بصائره دلالتي الشك والتهمة؛ ذلك أن (التهمة) دلالة غير بعيدة عن دلالة (الشك)؛ إذ المتهم مشكوك فيه غير متثبت منه، فالتهمة لا تغادر معنى الشك.

وجعل الفيروزابادي الشاهد الأول على ذلك قوله –تعالى-: "فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ" [الأنبياء:٨٧]، والطبرسي يقر في الآية بمعنى الشك، "فظن أن لن نقدر عليه: أي لن نضيق عليه، وقيل: ظن أن لن نقضي عليه ما قضيناه، والقدر بمعنى القضاء، ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر، ثم قذف فيه، فابتلعته السمكة" [١٤٢]، وعلى ذلك فقد ذهب بعض المفسرين بناء على دلالة الظن في الآية إلى الدفع بالقول إنه "يقتضي كونه شاكًّا في قدرة الله –تعالى-" [١٤٣]، و"وما يحل هذه الإشكالية هي دلالة الحال أو المقام في السياق، ونفصل بالآتي: أن النبي يونس -عليه السلام- مزود بالعصمة الإلهية، فتأسيسا على هذا وأخذا بالحسبان الرعاية الربانية التي تحيطه ودلالة الحال

ومقامية النبوة، كلها تنفي عن النبي يونس -عليه السلام- هذه التهمة، فليس من الحكمة الإلهية اصطفاء أحد من البشر متردد وشاك في قدرته –تعالى- كي يكون نبيًّا له وداعيًا إليه الناس، فمن كان شاكًّا بقدرته –تعالى-، كيف يؤمن به حتى يهدي الناس للإيمان؟!.

وربما دفع المفسرين إلى القول بالتفسير السابق أنهم رأوا أن معنى (نقدر عليه) مأخوذة من (القدرة)، وهذا هو المعطى اللغوي للفظة، إلا أنهم أسقطوا من حسابهم دلالة الحال، ولو أخذوا بها ما قالو بـــ (التشكيك)، وأن الأرجح والموثوق به (نقدر عليه) مأخوذ من (التقدير) الذي يلتقي بمعنى التضييق أو التحديد، ونظيره قوله –تعالى-: "وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ"[الفجر:١٦]؛ ليتجاوب مع ذي النون، فالمعنى ظن أن "لن نضيق عليه"[١٤٤]، وذهب الزمخشري إلى أنه "ظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً له، وأنفة لدينه، وبغضًا للكفر وأهله"[١٤٥]، وبهذا يكون معنى (ظن) مفسرًا لنا سبب خروجه ويسوغه، ولولا دلالة الحال أو المقام لأوهم أنه خرج عصيانًا له –تعالى-، وهذا لا يكون من نبي من أنبياء الله –تعالى-" [١٤٦].

وأغلب الظن أن الأصل في استخدام مادة (قدر) في الآيات والتي أوقعت العلماء والمفسرين في خلط واضطراب، قد استدعاها السياق لأصل في الدلالة تحيط بها ظلال من دلالة أخرى، موافقا لسياق الحال، فالأصل في الدلالة (لن نضيق عليه)، ولكن في ظهور مادة (قدر) تلويح وتلميح بقدرته –سبحانه- على يونس، وهو الذي تجرأ وخرج "إذ ذهب مغاضباً" من بين قومه دون أن يؤذن له في الخروج " فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " [الأنبياء: ٨٧] فالنص يستخدم الكلمة؛ اعتمادا على دلالة التبادر في إطار استيراتيجية تلميحية؛ حيث تحمل اللفظة عدة دلالات، ذلك أن الكلمات المعجمية وإن لم تكن وحدها المسئولة عن عملية الاتصال اللغوي بين أطراف الحديث، إلا أنها بإمكانياتها الدلالية تمكن المتلقي من الإفادة من إشاريتها الصارخة "إتكاء على سياق الموقف غالبا"[١٤٧]، ولعل في قوله –تعالى-: "في الظلمات" ما يوافق دلالة التضييق التي تتضمنها مادة (قدر)، وفي الذكر و الدعاء "التوحيد والتسبيح والتوبة" "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" ما يعتذر به عن التجرؤ والخروج[١٤٨].

وبهذا "يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه أحوال المخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم، فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه"[١٤٩].

(٤) دلالة الحسبان:

جاء في التصاريف: "ظن يعني حَسِب، وذلك قوله في "إذا السماء انشقت" : "إنه ظن أن لن يحور" [الانشقاق:١٤] يعني حسب أن لن يرجع" [١٥٠]، ولا مسوغ لإطلاق دلالة الحسبان على مادة الظن في الآية، حتى إن كثيرًا من المفسرين حافظ على مادة الظن فيها، ولم ينح بها إلى دلالة الحسبان، قال أبو السعود: أي ظن أن لن يرجع إلى الله –تعالى- تكذيبًا للميعاد"[١٥١]، ولم يتعرض الزمخشري لمادة الظن في التفسير"إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ"، لن يرجع إلى الله –تعالى- تكذيبًا بالميعاد"[١٥٢].

وعلى هذا تستبقى دلالة الظن دون الحسبان؛ إذ يستقيم مع السياق أن يخطر أحد النقيضين بالبال، وأن يتغلب أحدهما على الآخر، بينما الحسبان حكم لأحد النقيضين دون أن يخطر الآخر بالبال، وهؤلاء الذين ورد في شأنهم في السياق اللاحق "وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ" [الانشقاق ٢٠ -٢٣]، في كل ما أخبر عنهم –سبحانه- ما لا يبرر دلالة الحسبان، فمما لا شك فيه أن من يعرض عليه القرآن وإن كذب بما فيه ولم يؤمن وهو يضمر حياله ما يضمر من السوء، فإن هذا جميعه لا ينفي بالقطع أن

الدعوة وما فيها من حديث عن الميعاد والحساب، لم تخطر له ببال، وإن قوبل ذلك الحديث بالإعراض والتخلي والنفور.

وعلى هذا النحو من فروق الدلالة بين مادتي "الظن" و"الحسبان" ينفي السياق دلالة الحسبان ويستبعدها من الآية.

وعلى مثل ذلك يمكن توجيه الدلالة في قوله –تعالى-:"وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّـهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ". [فصلت:٢٢] (١٥٣).

(٥) دلالة الكذب:

ورد في بصائر ذوي التمييز أن من دلالات (الظن) الكذب، "ومنه قوله –تعالى- [في النجم]: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا" [الآية: ٢٨]، قاله الفراء"(١٥٤).

قال الألوسي: "(إلا الظن) أي التوهم الباطل، قال ابن عمر: اتهموا الرأي عن الدين؛ فإن الرأي منا تكلف وظن (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)، وأجاب عنه بأن غايته الدلالة على احتمال الخطأ فيه، وليس فيه ما يدل على إبطاله، وأن المراد بقوله: (وَإِنَّ الظَّنَّ) إلخ، استعمال الظن في مواضع اليقين، وليس المراد به إبطال الظن" (١٥٥)، قال الرازي: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ" أمران مذكوران يحتمل أن يكون ذكرهما لأمر من تقدير بين يتبعون الظن في الاعتقاد، ويتبعون ما تهوى الأنفس في العمل والعبادة وكلاهما فاسد؛ لأن الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين، وكيف يجوز اتباع الظن في الأمر العظيم، وأما العمل فالعبادة مخالفة الهوى فكيف تنبئ على متابعته، ويحتمل أن يكون في أمر واحد على طريقة النزول درجة درجة، فقال: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ" أي وما دون الظن" (١٥٦).

وفي تفسير أبي السعود تحدد دلالة الظن، يقول: "(إلا الظن) الفاسد، (وإن الظن) أي جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار (لا يغني من الحق شيئاً) من الإغناء، فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء، لا يدرك إلا بالعلم، والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية، وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها(١٥٧)، فالأمر على هذا النحو مفسر على الترجيح، وتجويز أحد أمرين.

نتائج البحث:

عبر قراءة سياقية لعدد من نصوص وآيات التنزيل التي احتوت مادة (الظن)، تبين الآتي:

(١) أن قراءة سياق المادة لدى علماء اللغة والتفسير لم تتم بصورة دقيقة شاملة، مما حدا ببعضهم إلى التخبط وإساءة فهم دلالات ومعاني المادة في تلك النصوص، وهو ما أثارلونا من التعمية والإخفاء لمقاصد النص ومحتواه البلاغي، مما أدى إلى تقصير المعنى عن أداء الرسالة المراد تبليغها لقارئ النص.

(٢) كان السياق، بنوعيه اللغوي و المحلي، عاملا حاسما في تعيين الدلالة المقصودة من اللفظ.

(٣) أثار البحث قضية التضاد في النص القرآني، وأظهر الحاجة الماسة إلى دراسة وتمحيص مواد الأضداد في هذا النص؛ حيث بدا من خلال الدراسة أن التضاد - والذي يعني احتمال اللفظ للمعنى وضده- غير قائم في مادة الظن في القرآن، وهذا يعني أن أهل اللغة توسعوا كثيرا في إثبات التضاد لبعض المواد اللغوية في القرآن.

(٤) حاول البحث أن يعيد قراءة السياق؛ استنادا على جهود علماء اللغة والتفسير، واعتمادا على بعض دراسات حديثة، أعادت قراءة دلالة مادة (الظن) بما يطابق الاعتقاد بقيم المادة الدقيقة، وعمق دلالاتها في موضعها من السياق القرآني.

الهوامش والتعليقات:

(١) جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية (النص القرآني أنموذجًا)، سيروان عبد الزهرة الجنابي، حيدر جبار عيدان، ٣٣، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع، ٢٠٠٨م.

(٢) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، ٢٢٠، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧١م.

(٣) دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ٨، سلسلة الرسائل العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ

(٤) السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، ١٢٧، بلنسية للنشر والتوزيع (سلسلة سياقات)، ط١، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ٣٥٥/٢، نشر أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ

(٦) السابق ٦٠/٧.

(٧) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين،٥٣١، مطبعة المعارف، بغداد،ط١،١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

(٨) علم الدلالة العربي(النظرية و التطبيق)، فايز الداية، ١٥٠، دار الفكر، دمشق ،ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٩) جدلية السياق:٤٤.

(١٠) اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسان ،٣٣٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.

(١١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ٤٦٢/٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

(١٣) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاح الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول ذكري، تحقيق حسن هاني محض، ٢٠٠٩/٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(١٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، ١٨٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ

(١٥) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق مركز الدراسات والبحوث، بمكتبة نزار مصطفى الباز، ٤١٢/١، وما ذكره الأصفهاني مبني على قاعدة غير مطردة، وقياس غير كامل تام؛ لأن كثيرًا من الآيات خلت من (أنّ) المشددة المثقلة، و(أنْ) المخففة على السواء، ومن ثم فليس ثمة ضابط يعول عليه.

(١٦) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن على بن اسماعيل بن سيده المرسي، المعروف بابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ٨/١٠، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، وينظر لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ١٩٦/٩، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م، وتاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي، اعتنى به ووضع حواشيه عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، ١٨٥/٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

(١٧) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل: ٣١١، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

(١٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ٤٢٣: ٤٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(١٩) التصاريف، يحيى بن سلام، قدمت له وحققته هند شلبي، ٣٣١:٣٣٢، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر

الإسلامي، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ٥٤٥/٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

(٢١) مختار الصحاح، ٣١٠/١، ولسان العرب ٤٥٧/١٣، والمعجم الوسيط، مصطفى ومجموعة من المؤلفين، ١٠٦٦/٢، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بلا طبعة وسنة نشر.

(٢٢) تفسير الطبري، ١٧٥/١.

(٢٣) مقاييس اللغة ٤٦٢/٣، لسان العرب، ٢٧٢/٣.

(٢٤) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، ٣٦، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق ،١٤١٠هـ

(٢٥) الشرح الكبير، الرافعي، ٧٣/١، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ١٤١٤ هـ

(٢٦) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، ضبطه زكريا عميرات، ٦١/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ

(٢٧) المصدر السابق، ٦١/١.

(٢٨) انظر القطع والظن عند الأصوليين، سعد بن ناصر الشثرى، ١٨/١ : ٢٦، دار الحبيب، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ

(٢٩) الحدود في الأصول، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، قرأه وقدم له وعلق عليه محمد السليماني، ٧٦، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م، وانظر العدة في أصول الفقه، أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، تحقيق أحمد بن علي بن سير مباركي، ٧٦/١، ط، ١٤١٠ هـ

(٣٠) شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، تحقيق محمد الزحيلي، ٦١/١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠ هـ، وانظر الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، ٣٠/١، ط١، ١٤٠٤هـ

(٣١) القاموس المحيط، مادة رجح.

(٣٢) لسان العرب، مادة (رجح).

(٣٣) كتاب التعريفات، ١٨٧.

(٣٤) الفروق اللغوية، أبو هلال بن سهل العسكري، تحقيق باسل عيون السود، ١١٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

(٣٥) معجم مقاييس اللغة، مادة (عقد).

(٣٦) القاموس المحيط، ١٢٢٠/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣٧) تاج العروس، ٣٥،١٨٥.

(٣٨) معجم مقاييس اللغة: ١٧٣/٣.

(٣٩) التعريفات: ١: ١٦٨.

(٤٠) الحدود لابن فورك: ١٤٩.

(٤١) المجموع شرح المهذب للنووي، تحقيق محمد نجيب المطبعي، ٧٧/١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣، وانظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢٦/٤، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤٢) فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري، حققه وشرحه محمد رضوان

الداية، ١٥٢، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

(٤٣) نزهة الأعين، ١٩٦.

(٤٤) الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، أبو هلال الحسين بن عبد الله العسكري، تحقيق أحمد السيد، ٢٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

(٤٥) الفروق اللغوية، ١١٣.

(٤٦) معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ١٤٩/١ – ١٥٠، دار ومكتبة الهلال، بلا طبعة وسنة نشر.

(٤٧) معجم مقاييس اللغة، ٥٩/٢ – ٦١.

(٤٨) معجم الفروق اللغوية، ٣٤٣.

(٤٩) المفردات في غريب القرآن: ١١٧ – ١١٨.

(٥٠) التعريفات، الجرجاني: ٩٨/١.

(٥١) المجموع للنووي: ٧٨/١، والأشباه والنظائر للسيوطي، ٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

(٥٢) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، للحموي، ١٩٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ

(٥٣) معجم العين، ١٠٠/٤، ولسان العرب، ٦٤٤/١٢.

(٥٤) تاج العروس، ٦٠٤/٣٤، ولسان العرب، ٦٤٤/١٢.

(٥٥) القاموس المحيط، ١٢١٣/١.

(٥٦) مختار الصحاح، مادة وهم.

(٥٧) المعجم الوسيط، ٧٨٠/٢.

(٥٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ١٥٩/١، المكتبة العلمية، بيروت، بلا طبعة، ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م.

(٥٩) الكليات: ٧٤٢.

(٦٠) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، ٢٠٧، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٦١) الحدود، ابن فورك، ١٤٨، وانظر: شرح اللمع، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق عبد المجيد تركي، ١٥٠/١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ

(٦٢) معجم الفروق اللغوية، ٣٤٣.

(٦٣) الأضداد في القرآن الكريم، عبد الجبار فتحي زيدان، ٦٥، الموصل، ١٤٣٦هـ-٢٠٠٥م.

(٦٤) وبين الذين وضعوا معجمات الأضداد: الأصمعي، والسجستاني، وابن السكيت، وقطرب، وأبو الطيب اللغوي، وابن الدهمان، والصغاني، وابن الأنباري.

(٦٥) مثلما نجد في الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وفقه اللغة للثعالبي ٤٢٩هـ، والمخصص لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، والمزهر للسيوطي (ت ٩١١هـ)، وفروق اللغات لنور الدين الجزائري (ت ١١٨٥هـ).

(٦٦) قال ثعلب: "ليس في الكلام ضد، قال: لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالًا) نقلًا عن كتاب: فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ٣٣٧، ط٦، ١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م.

(٦٧) التضاد في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ٨٢، دار الفكر المعاصر، دمشق ،٢٠٠٧م.

(٦٨) السابق: ٥٦ : ٨٣.

(٦٩) السابق: ٨٣-٥٦.

(٧٠) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، ٥٣٤.

(٧١) التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، ٩٨، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

(٧٢) معاني القرآن، الفراء، ١٤٧/٢، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة سجل العرب، القاهرة، د.ت.

(٧٣) السابق، ٤٠٤/٢.

(٧٤) الأضداد، ابن الأنباري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ٩٧، الكويت،١٩٦٠م.

(٧٥) نظم الدرر، ٥٨/١٨.

(٧٦) بصائر ذوي التمييز، ٥٤٥/٣.

(٧٧) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، ٧٥، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ومثل ذلك ما ذكره صاحب إرشاد العقل السليم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ٩٨/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وما ذكره البيضاوي والبغوي، والقرطبي وغيرهم.

(٧٨) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ٣٤٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٧٩) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ٧٢/٢، مؤسسة الرسالة، ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٨٠) تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم)، محمد متولي الشعراوي، ٣١٠/١، نشر أخبار اليوم، ١٩٩١م، وفي تفسير أبي السعود: "وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان، أطلق عليه لتضمين معنى التوقع" تفسير أبي السعود، ٩٨/١.

(٨١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦٥، دار الشروق، ط٣٢-٢٠٠٣م.

(٨٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ٣٤٣/١، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، يعقب "زاد في الترهيب بقوله: "وإنهم إليه "أي وحده "راجعون".

(٨٣) السابق : ٣٤٣/٢، يعقب: "ويجوز أن يراد الموت في كل لحظة"، وبها قال الرازي في تفسيره الكبير: " وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون الموت في كل لحظة، وذلك لأن كل من كان متوقعًا للموت في كل لحظة، فإنه لا يفارق قلبه الخشوع" ٥٣/٣، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩/١١م.

(٨٤) السابق: ٣٤٣/٢، يعقب: "ولما كان في الصلاة مناجاة لله على الغيب كانت إنما تتيسر على من يظن القبول الذي يشعر به اللقاء لربه بعد موته، وذلك حال رجحت الآخرة على الدنيا في عمله وحاله. فكان حاله وعمله حال الظان؛ إبقاء على أحوال من دون مرتبة اليقين، ومقصود اللقاء ليس البعث؛ لأنهم هم من المؤمنين بالبعث، ولكنه من معنى القبول بعد البعث".

(٨٥) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ٧٠، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٨٦) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ٢٠/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٨٧) تفسير أبي السعود، ٩٨/١.

(٨٨) نظم الدرر، ٤٣٤/٢.

(٨٩) تفسير أبي السعود، ٦٨/٩.

(٩٠) التفسير الكبير، ٢٣١/٣٠.

(٩١) السابق: ٢٣٠/٣٠.

(٩٢) تفسير أبي السعود، ٦٨/٩.

(٩٣) التفسير الكبير، ٢٣٠/٣٠.

(٩٤) تفسير أبي السعود، ٦٩/٩.

(٩٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ١٨٩٢م، دار ابن حزم، طبعة جديدة منقحة ومرتبة.

(٩٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، ٤٧/٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٩٧) تفسير أبي السعود، ٢٥/٩.

(٩٨) نظم الدرر، ٣٦٢/٢٠.

(٩٩) التفسير الكبير: ١٥٩/٣٠.

(١٠٠) تفسير أبي السعود: ٤٥/٩.

(١٠١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٣٣/٢٩، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(١٠٢) نظم الدرر، ٤٨١/٢٠.

(١٠٣) السابق، ٢٧٠/٢٠.

(١٠٤) تفسير الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ١٣٥/٢٢، وفي تفسير البيضاوي: "فإن من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح، فكيف بمن تيقنه وفيه إنكار وتعجب من حالهم"، ٢٩٤/٥، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، وانظر: في ظلال القرآن، ٣٨٥٦، والكشاف، ١١٨٧.

(١٠٥) تفسير البحر المحيط، ٤٨٢/٧، وفي المحرر الوجيز " ويكون الظن...، بمعنى اليقين"، ١٦٥٩.

(١٠٦) نظم الدرر، ٢١٦/١٧.

(١٠٧) البحر المحيط، ٤٧٢/٧.

(١٠٨) تفسير أبي السعود، ١٠٩/٤.

(١٠٩) البحر المحيط، ١١٢/٥.

(١١٠) نظم الدرر، ٣٩/٩.

(١١١) معاني النحو، ٢٠/٢.

(١١٢) تفسير أبي السعود، ٢٢٧/١.

(١١٣) نظم الدرر، ٣١٦/٣.

(١١٤) تفسير الشعراوي، ٩٩٧/٢.

(١١٥) معاني النحو، ٢٠/٢.

(١١٦) الجامع لأحكام القرآن، ١٧٣/١٨.

(١١٧) تفسير أبي السعود، ٢٢١/٧.

(١١٨) البحر المحيط، ٣٧٧/٧.

(١١٩) نظم الدرر، ٣٦١/١٦.

(١٢٠) نزهة الأعين النواظر، ٤٢٥.

(١٢١) البحر المحيط، ٤٤٣/١.

(١٢٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢٠١٩/٢.

(١٢٣) التفسير الكبير، ١٤٩/٣.

(١٢٤) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، محمد أبو الحسن بن مسعود البغوي، حققة وأخرج أحاديثه محمد عبد النمر، عثمان جمعة ضميريه، سليمان مسلم الحرش، ١١٥/١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، قال ابن كثير: "إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، أي مرجوحًا، ولهذا قال: (ما نحن بمستيقنين)، أي: بمتحققين" ٢٧٢/٧.

(١٢٥) المحرر الوجيز، ١٠٤.

(١٢٦) البحر المحيط، ٤٤٣/١.

(١٢٧) تفسير أبي السعود، ١١٩/١، وانظر: تفسير البيضاوي، ٩٠/١.

(١٢٨) تفسير البغوي، ٢٤٧/٧.

(١٢٩) تفسير أبي السعود، ٧٦/٨.

(١٣٠) نظم الدرر، ١١٠/١٨-١١١.

(١٣١) الكشاف، ١٠٠٨.

(١٣٢) تفسير أبي السعود، ٧٦/٨.

(١٣٣) التفيسر الكبير، ٢٧٥/٢٧.

(١٣٤) آية: ١٢.

(١٣٥) لسان العرب، مادة وهم ٦٤٤/١٢.

(١٣٦) البحر المحيط، ٢٠١١/٧.

(١٣٧) التفسير الكبير: ١٩٩/٢٥ – ٢٠٠.

(١٣٨) تفسير أبي السعود، ٩٣/٧ – ٩٤.

(١٣٩) التحرير والتنوير، ٢٨١/٢١.

(١٤٠) تفسير أبي السعود، ١٠٧/٨، وانظر: روح المعاني، ١٠٠/٢٦، ونظم الدرر، ٣٠٢/١٨ – ٣٠٣.

(١٤١) الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٨/١٩.

(١٤٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ٦٠/٧، نشر أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ

(١٤٣) التفسير الكبير، ٢١٤/٢٢.

(١٤٤) مجمع البيان، ٦٠/٤.

(١٤٥) الكشاف ١٠٤/٣.

(١٤٦) جدلية السياق والدلالة، ٤٥-٤٦.

(١٤٧) اللغة و علم النفس (دراسة الجوانب النفسية للغة)، موفق الحمداني ،١٥٠، العراق، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي.

(١٤٨) ولعل من ألوان التوافق و التناسب في النص القرآني ظهور مادة (قدر) في سورة (يونس) في مقابلة بين قدرة البشر وقدرته –سبحانه-، في رحاب مادة الظن "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" (آية : ٢٤)، وهو التناسب الذي يفرضه سياق

الموقف، والذي من جرائه ظهر اسم النبي (يونس)، وليس (ذا النون) كما ورد في سورة الأنبياء.

(١٤٩) المقدمة، ابن خلدون (عبد الرحمن المغربى)، ٧١٨/٢، مطبعة كتاب التحرير، القاهرة، ١٩٨٦م.

(١٥٠) التصاريف، ٣٣١.

(١٥١) تفسير أبي السعود، ١٣٣/٩.

(١٥٢) تفسير الكشاف، ١١٩٠، وفي البحر المحيط: "أي أن لن يرجع إلى الله، وهذا تكذيب بالبعث" ٤٣٩/٨.

(١٥٣) والآية من سورة الشعراء [١٨٦]، والإسراء [٥٢].

(١٥٤) بصائر ذوي التمييز، ٤٢٦.

(١٥٥) روح المعاني، ٥٩/٢٧-٦٠.

(١٥٦) التفسير الكبير، ٣٠١/٢٨.

(١٥٧) تفسير أبي السعود، ١٦٠/٨.